الفصل الخامس

إشباع حاجة الطفل إلي المشاركة واحترام الذات

يحتاج الأبناء إلي أن يشعروا باحترام ذواتهم، وأنَّهم جديرون بالتقدير والاعتزاز٠ وهم يسعون دائماً للحصول علي المكانة المرموقة التي تُعزز ذواتهم وتؤكِّد أهميتهم؛ لذلك فهم في حاجة إلي عمل الأشياء التي تبرز ذواتهم، وإلي استخدام قدراتهم وإمكاناتهم استخداماً بنّاءاً٠

إنَّ النموّ السَّوي للذات وتنمية مفهوم صحي إيجابي لها، يحتاج إلي إشباع هذه الحاجة المهمة والمُلِحَّة.

● بدايات ظهور الحاجة إلي المشاركة واحترام الذات :

الطفل منذ الشهر التاسع يقضي معظم أوقات يقظته في تلقي شتي ضروب التفهُّم لمَّا يفعله، وهنا يبدأ إحساسه بالحكم الواعي علي نفسه، وخصوصاً إذا وجد أنَّ كثيراً من أعماله أو أفعله تلقي المديح والثناء.

والجدير بالذكر أنَّ الطفل عندما يبلغ شهره العاشر يبدأ في عملية الحَبْو، فإذا بلغ شهره الحادي عشر نراه يمشي بمُساعدة الغير، ثُمَّ يقف مستنداً علي الأثاث.

أمَّا عند بلوغه أربعة عشر شهراً، فإنَّه يستطيع أن يقف وحده، ثُمَّ بعد ذلك بشهر واحد تقريباً يستطيع المشي وحده، ولذلك عندما تحدث هذه التطوُّرات الحركية للطفل، لابدّ من أن

ينال من والديه الثناء والتشجيع، والطفل يحتاج إلي ذلك لأنَّنا نراه يُكرِّر هذه الأنشطة مراراً وتكراراً، وكأنَّه يُطالب بالمديح والمكافأة.

والطفل الذي ينال الاستحسان والتشجيع يبدأ في تكوين اتجاهات إيجابيَّة نحو الإنجاز والتعلُّم، وبالتالي تزداد ثقته بنفسه، فيقدرها ويحترمها.

وهناك بعد الأطفال الذين ينشئون في جوّ أُسري يُقابِّل ما يفعلونه بالإهمال وعدم الاكتراث، وبالتالي يتلاشي لديهم الدافع للإنجاز؛ لأنَّ هذا الدافع يُحبَط نتيجة عدم المشاركة أو المكافأة.

وبذلك يمكننا القول بأنَّه لا شيء يقضي علي القدرة الابتكارية لدي الطفل سوي إهماله وعدم تشجيعه، ولا يُضعف من شخصيته ويقتل ثقته بنفسه قدر النشأة الأُسرية السَّلبيَّة التي لا تُمكِّنه من الاقتناع بقدراته وإمكاناته علي إتمام أعماله وتشجيعه عليها وامتداحها.

إنَّ الأطفال الذين يُربَّوْن تربية صحيحة بفضل العلاقات الصحيَّة بينهم وبين والديهم، فهم حينما يحتاجون التعزيز يجدونه، فإنَّ نموَّهم ــ بلا شك ــ يسير في اتجاه السَّواء.

أمَّا هؤلاء الأطفال الذين يواجهون دائماً مواقف الفشل والتثبيط واليأس، فهم معرَّضون لفقدان الشعور باحترام الذات

وقيمتها، وعدم الرِّضا علي ما يبذلونه من جهودٍ، ممَّا يؤثِّر بالسَّلب علي صحَّتهم النفسيَّة.

● كيف نكتشف حاجة الأطفال إلي المشاركة واحترام الذات:

المتأمِّل للواقع يُدهشه أنْ يكتشف كمّ الضغوط التي تُفرض علي أبنائنا صِّغاراً أم كباراً، تلك الضغوط التي تُفسِّرها تكرار كلمات، مثل: « لا تفعل ».. « لا تتصرَّف» تكراراً آليًّا مملاً !!

عندها يشعر الأبناء بفقدهم الحُرِّيَّة؛ لأنَّهم يُصَبّون في قوالب جامدة مُعدَّة لهم سلفاً، إنَّهم يجبرون علي التصرُّف بشكلٍ مُعيَّن، فالآباء أو المربون هم الذين يحدِّدون لهم ما يجب أنْ يفعلوه، وما لا يجب أنْ يفعلوه علي وجه الدقة والتحديد؛ وبالتالي يحسون أن حياتهم تسير كمَّا يبغي لها الكبار، لا كمَّا يبغون هم؛ فيفقدون احترامهم لذواتهم.

والأطفال الصِّغار ــ كالكبار البالغين ــ تحدوهم الرَّغبة الأكيدة في أنْ تتم مشاركتهم فيما يُخطَّط لهم، وقد يتمسكون بأداء أعمال مُعيَّنة يقومون هم بتخطيطها وإعدادها لا الكبار البالغون..

وهذا يُفسِّر تمرُّدهم أو عصيانهم لوالديهم أو لإخوتهم أو لمُعلِّميهم أو حتى لأصدقائهم، إنَّها الرَّغبة في أن يكون لهم صوت مسموع.

ويُلاحظ علي الطفل الذي يرغب في المشاركة وكأنَّه متقوقع، منعزل عن الآخرين٠ وهو لا يسمح لنفسه أن يُقصي عن مهامه أو أعماله التي يقوم بها لكي يأخذ غيره مكانه٠

وقد نجده يلعب مع أطفالٍ أصغر منه سِناً٠ وبعض الأطفال إذا ما رفضتهم الجماعة، فقد ينسحبون ويتصرَّفون وكأنَّهم لا يهتمون بالأنشطة، أو لا يُبالون بأفرادها٠

أمَّا البعض الآخر، فإنَّ انسحابهم يصحبه بكاءٌ وعويلٌ حدّ التشنُّج٠ وهناك أطفال من نوع ثالث لا ينسحبون من الجماعة بسهولة، فهم يُقاومون هذا الرفض من جانبها بكُلِّ ما أوتوا من قوَّةٍ، وبكُلّ ما لديهم من وسائل٠

والطفل الذي يحتاج إلي المشاركة واحترم الذات قد يُقاطع الآخرين وهم يتحدَّثون، خاصَّة إذا لم يُطلب إليه أنْ يتحدَّث٠ هذا النوع من الأطفال يفرض زعامته أو سلطته علي الجماعة، كمَّا يُريد أن ينفرد بالرأي ويستأثر به وحده، وعادةً لا يُطيع الأوامر والتعليمات٠

هذا٠٠ويُخطئ كثيرٌ من الآباء والمربين إذا حاولوا الانتقاص من اعتزاز الطفل أو الناشئ بشخصيته، ولذلك نحن ننبه إلي ضرورة الابتعاد عن مثل هذه العبارات التي تنتقص من مشاعرهم وتجعلهم يفقدون الاعتزاز بذاتيتهم،مثل:

«أنت لا تعرف شيئاً؛ لأنَّك مازلت صغيراً».. «أنت ليس لديك أي إدراك».. «كُلّ الذي تفعله خطأ.. إليك الطريقة الصحيحة».. «يمكنك أن تنسحب».. «دعنا نفعل لك ذلك»..«أنت طفلٌ غبيٌ يعوزك الكثير» !!

إنَّنا إذا أجبرنا الطفل علي مزاولة الأنشطة التي خطَّطها له الكبار دون علمه أو إشراكه، أو عندما نحرمه من التعبير عن آرائه، أو لا نتيح له الفرص الكافية لإصلاح أخطائه التي قد يقع فيها، أو لا نسمح للطفل الخجول بالمشاركة في الأنشطة الجماعية؛ فإنَّنا نحرم مثل هؤلاء الأطفال من امتيازاتهم، ونُزيد من حاجتهم إلي المشاركة واحترامهم لذواتهم.

لقد أثبتت الدراسات التربويَّة والنفسيَّة أنَّ الطفل الذي يحتاج إلي المشاركة واحترام الذات، دائماً ما يشعر بأنَّ هناك مؤامرات تُحاك ضده، ومن ثمّ تنمو لديه عُقدة الاضطهاد، أو أن أفكاره وآرائه ليست ذات قيمة، وبالتالي يحس بأنَّه لا فائدة تُرجي منه شخصياً، عندها تسوء صحَّته النفسيَّة وتتدهور.

● كيف نشبع حاجة الأطفال إلي المشاركة واحترام الذات:

أنْ يُشارك الأبناء كُلّ من الآباء والمربين حال تقويم أعمالهم وأنشطتهم، وأن يصغوا إليهم بكُلِّ الإنصات والاهتمام، وأن يُظهروا لهم إعجابهم أو موافقتهم إذا كانت أعمالهم جيدة.

أمَّا إذا كانت لديهم ملاحظات أو مآخذ، فعليهم أنْ يذكروا أسبابها حتى لا يشعر الأبناء بالإحباط أو اليأس.

- أنْ يُشجع الآباء والأمهات أبناءهم علي تحمُّل المسؤولية منذ صِغرهم، وهذا يستلزم أنْ تكون هذه المسؤوليات المُلقاة علي عاتقهم تتناسب وأعمارهم الزمنية والعقليَّة، وتتفق مع ميولهم وتطلُّعاتهم، وأن تتسم بالتدرُّج، وخاضعة لإشراف الأبوين إشرافاً دقيقاً، وتربويًّا في الوقت نفسه.

- علي أن يُمنح الأبناء الثناء والمديح متى نجحوا في أداء مهامهم، وأن يُشجعوا ببث الثقة في نفوسهم من جديد متى أخفقوا.

- أنْ يُشارك الأبناء في تخطيط ما يقومون به من أعمالٍ بجانب آبائهم أو مُعلِّميهم.

- السماح لجميع الأبناء بالحديث عن آرائهم أو وجهات نظرهم حال اتخاذ أي قرار يهم الجماعة؛ لأنَّها طريقة تنم عن إظهار الاحترام للجميع دون استثناء.

- الابتعاد عن كُلّ ما يجعل الأبناء يحسون بأنَّنا لا نثق بهم، كأن تتم مراجعتهم باستمرار فيما يفعلونه من استذكار أو أنشطة، كمَّا ينبغي الابتعاد عن كُلّ الأساليب التي تُقلِّل من شأنهم، وتُفقدهم احترامهم لأنفسهم أو ذواتهم.